Issn:2572-0023

الثورة الجزائرية وقضايا القومية العربية (التضامن والوحدة نموذجان)

د/ بن أزواو فتح الدين
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص:

نتناول في هذا المقال موقف الثورة الجزائرية من الانتماء الحضاري للجزائر في إطار الموقف من الهوية العربية؛ نبين دفاع جبهة التحرير الوطني عن الانتماء العربي للجزائر، ونعرض مختلف الحجج التي قدمتها لإثبات رسوخ هذا الانتماء كما نوضح مساعيها لرفع الشعور القومي وزيادة التضامن العربي عموما والمغاربي خصوصا من أجل التحرر؛ نبرز كيف أصبح هذا الشعور وذلك التضامن أمرا حقيقيا وفعالا ومتبادلا بين الثورة الجزائرية ومختلف الحكومات والشعوب العربية. ثم نعرج على موقف الثورة الجزائرية من الوحدة العربية الاقتصادية والسياسية؛ نقدم رؤيتها للاندماج الاقتصادي العربي وآليات حمايته من الهيمنة الاستعمارية، ونحلل منهجها في تحقيق الوحدة السياسية، ونشير في الوقت نفسه إلى موقفها من المشاريع الوحدوية العربية السابقة.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، قضايا، القومية، العرب.

Résumé:

Dans cet article, nous discutons de la position de la révolution algérienne sur l'affiliation culturelle de l'Algérie dans le cadre de la position de l'identité arabe. Nous présentons la défense du Front de libération nationale sur l'affiliation arabe de l'Algérie et nous présentons les divers' arguments présentés pour prouver la solidité de cette affiliation tout en clarifiant ses efforts pour augmenter le sentiment national et renforcer la solidarité arabe en général et dans le Maghreb. Nous montrons comment ce sens de la solidarité est devenu réel, effectif et réciproque entre la révolution algérienne et divers gouvernements et peuples arabes. Nous passons ensuite en revue la position de la révolution algérienne sur l'unité économique et politique arabe, nous présentons sa vision de l'intégration économique arabe et ses mécanismes de protection contre la domination coloniale, ainsi que son approche de la réalisation de l'unité politique, tout en rappelant sa position sur les précédents projets monothéistes arabe

Les mots clés: Révolution algérienne, Questions, Nationalisme, Les arabes.

مقدمة:

اهتمت الثورة الجزائرية بقضايا القومية العربية، فكانت مسألة التضامن وقضية الوحدة من القضايا الرئيسة التي شغلت جبهة التحرير الوطني، وهذا طبيعي كون الشعب الجزائري انصهر في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية ردحا من الزمن وعندما تعرضت حضارته لمحاولة الطمس والتشويه تصدى لها بمختلف الوسائل والأساليب، وقد مثلت الحركة الوطنية الجزائرية هذا الدور أحسن تمثيل، ثم ورثت الثورة الجزائرية ذلك الدور؛ فسعت جاهدة إلى إبراز البعد القومي العروبي للشعب الجزائري وربط كفاح ثورته بمحيطه الطبيعي العربي عموما والمغاربي خصوصا، الذي هو في نظرها السبيل لنجاح مشروعها التحرري، بل ولتحرير الوطن العربي برمته من الاستعمار القديم والجديد. وعلى هذا الأساس كان اهتمامنا بمسألتي التضامن والوحدة. فإلى أي مدى ساهمت الثورة الجزائرية في إثراء هاتين المسألتين فكرا وممارسة؟ وما هي انعكاسات هذا الاهتمام على الثورة الجزائرية والنضال القومي العربي المشترك ضد الاستعمار؟

1- الشعور القومي والتضامن العربي:

لعل أهم ملاحظة تستوقفنا عند تحليل البعد القومي للثورة الجزائرية هو الاهتمام المتزايد لجبهة التحرير الوطني بإبراز انتماء الجزائريين إلى الهوية العربية معتبرة أن الجزائر بلد عربي بامتياز، تجذرت فيه العروبة منذ الفتح العربي الإسلامي عبر قرون من الزمن. يقول برنامج طرابلس (1959-1960) في هذا الشأن: " **إن الجزائر جزء من المغرب العربي وتنتمي إلى الوطن العربي الذي تربطها به أربعة عشر قرنا من التاريخ والثقافة العربية الإسلامية والكفاح المشترك ضد الاستعمار** "[1].

لذلك راحت جريدة " **المقاومة الجزائرية** " تشيد بماضي الجزائر العروبي العريق متوقفة عند محطات التلاحم بين العرب والبربر، فذكّرت بموقف الكاهنة التاريخي "**رغم رفضها الدخول في الإسلام**" في إحداث التقارب والانصهار بين العرب والبربر، عندما أرضعت خالد بن زيد –

الذي أعجبت به – ليكون أخا لأولادها من الرضاع ويكون له حق الميراث حسب العرف البربري [2]. كما نوهت بدور البربر في التحالف مع العرب الفاتحين في نشر الدعوة الإسلامية، متخذة من طارق بن زياد نموذجا للرجل الجزائري البربري الذي سجل – بشجاعته وإخلاصه وإيمانه بالعروبة والإسلام – إعجاب العرب الفاتحين الذين اعتمدوا عليه في فتح الأندلس، مذكرة بخطبته الشهيرة التي ألقاها هناك بلغة عربية فصيحة لتخلص إلى أن البربر ظلوا متشبثين باللغة العربية منذ الأعوام الأولى لعملية الفتح [3].

هذا الشعور الذي كان يتملك الجزائريين تجاه العروبة لم يفتر–حسب جريدة المجاهد – رغم النكبات والفراغ السياسي الذي حدث بسبب الاحتلال، بل وصل إلى الأوج خلال الحرب العالمية الثانية وقبلها، عندما أصبح الجزائريون يتابعون بشغف قضايا العروبة المعاصرة، خاصة تلك المتعلقة بالمسألة القومية والقضية الفلسطينية والثورة العراقية ودور مصر في حركة التحرر العربية، التي كانوا يرون فيها رمزا للقوة والتضامن ضد فرنسا [4]

ولعل هذا ما يفسر تأكيد الثورة الجزائرية، في كثير من المواقف، على الانتماء العروبي للجزائر [5] مبينة أن الشعب الجزائري شعب عربي، يقطن أرضا عربية إسلامية ويتصل اتصالا وثيقا بالأمة العربية [6] التي تزخر بميراث بديع من الحضارة الإسلامية. والشعب الجزائري – على حد تصريح الحكومة المؤقتة – هو صميم هذه الحضارة يمثل جزءًا من الأمة العربية [7]. لذلك دعت بعض نصوص الثورة إلى ضرورة تكريس وتقوية السمات العربية على المجتمع الجزائري، خاصة على المرأة، التي تعد اللبنة الأساسية لهذا المجتمع في عاداته وتقاليده وقيمه، بإدخال تحسينات عليها مستمدة من روح الحضارة العربية المعاصرة وتربيتها تربية " **تقدمية في قالب عربي** " [8].

هذه القناعة بوحدة الانتماء إلى الهوية العربية والعمل على ترسيخ هذا الانتماء هو الذي ولد إيمانا لدى محرري بيان أول نوفمبر في إمكانية تجسيد التضامن العربي مع الثورة والتعويل على هذا التضامن في كسب المعركة الدبلوماسية، إذ أشار البيان في هذا الصدد إلى أن القضية الجزائرية " **ستجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين** " [9]. وقد بقيت

جبهة التحرير الوطني متمسكة بهذا الموقف في الاتجاه نحو الدول العربية، وخاصة مصر التي كانت على وقع نجاح ثورتها المساندة لقضايا القومية العربية. لذلك سارع مؤتمر الصومام إلى التأكيد على هذا الاتجاه، اعتبره الإستراتيجية الرئيسية للعمل الدبلوماسي القادم للثورة، إذ ذكر ميثاقه في هذا المجال بأن "**القاعدة الأساسية لنشاطنا في هذا الميدان تقع في البلاد العربية، وفي مصر بوجه خاص** " [10].

لذلك فإن الثورة الجزائرية، كقضية عربية، كانت موضوع تأثير وتأثر؛ فقد تأثر الجزائريون بالدعم العربي لنضالهم [11] وأعجبوا به أيما إعجاب [12]، كما أثروا بثورتهم في تفعيل التضامن العربي وتجسيده على أرض الواقع، وإحياء الشعور القومي. وهذا باعتراف أكبر الحركات القومية العربية آنذاك (حزب البعث العرب الاشتراكي)، الذي أكد على أن الثورة الجزائرية ساهمت بفعالية في نشر المعاني القومية الحديثة التي لم تتوصل إليها دول المشرق العربي منذ ستين سنة من العمل القومي، في حين جسدت الثورة الجزائرية هذه المعاني في كفاحها الشعبي ضد الاستعمار، التي أدت إلى بروز ملامح المجتمع العربي الجديد من خلال هذه الثورة [13]. بل اعتبر– في نص أخر– أن الثورة الجزائرية كانت بمثابة " **نقطة انطلاق لتحرير ثلاثين مليون من العرب في المغرب العربي، وخطوة جديدة لتفجير قوى العرب الثورية والقضاء على الاستعمار وإسرائيل وإطلاق كل إمكانيات أمتنا لتحقيق وحدتها القومية** " [14]. وذهب أحد القادة البارزين في حزب البعث (ميشيل عفلق) إلى القول بأن نضال الجزائر أصبح مثلا يقتدي به في كامل البلاد العربية [15]. لنخلص في الأخير إلى أن الثورة الجزائرية ساهمت بفعالية في رفع مستوى الشعور القومي والتضامن العربي، اللذان يمثلان ركيزتين من ركائز مشروع الوحدة العربية.

2 – التضامن المغاربي من أجل التحرر

إن المتتبع لنصوص جبهة التحرير الوطني يلاحظ عدم فصلها بين الانتماءين العربي والمغاربي فالمغرب العربي في نظر الثورة الجزائرية هو كيان ينتمي بهويته وحضارته وتاريخية إلى الوطن العربي الكبير الذي يشترك معه، كذلك، في الهيمنة الاستعمارية والرغبة في التخلص منها. تقول أحد نصوص الجبهة في هذا المجال: " إن الجزائر جزء من المغرب العربي، وهي تنتمي إلى الوطن العربي

الذي تربطه به أربعة عشر قرنا من التاريخ والثقافة العربية الإسلامية والكفاح المشترك ضد الاستعمار " [16].

لذلك فإن التوجه المغاربي للثورة الجزائرية لا يفهم منه توجها إقليميا أو ميلا جغرافيا على حساب التوجه العروبي بقدر ما يعتبر تعزيزا وتعميقا للبعد العروبي للثورة [17]. ولعل هذا ما أكده بيان أول نوفمبر عندما أشار إلى " **تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي** " [18].

والحق أن هذه الفكرة لم تأت من العدم، فنضال الحركة الوطنية الجزائرية كوّن في هذا المجال أرضية خصبة لإحياء الذاكرة المغاربية الجماعية، من أجل إعادة النهوض بالوحدة التاريخية لأقطار المغرب العربي وتحريره من مختلف مظاهر التخلف الحضاري الذي يعد الاستعمار أحد سماته الأساسية. وليس عبثا أن يتوج ذلك النضال بإنشاء لجنة تحرير المغرب العربي (1948)، التي كانت في نفس السنة التي اندلعت فيها الثورة الجزائرية لازالت تنسق الجهود للعمل المغاربي المشترك ضد الاستعمار [19].

وعلى هذا لم يكن بيان أول نوفمبر غافلا عن هذا الرصيد، ولا مختلف مواثيق الثورة الجزائرية، التي كانت تجعل دائما من هذه المسألة أولوية من أولويات السياسة الخارجية للثورة الجزائرية [20]، وهذا لعوامل تاريخية وجغرافية وحضارية وإستراتيجية [21] تتعلق بالماضي المشترك الضارب بجذوره إلى ما قبل الفتح الإسلامي، أين كان التاريخ المغاربي القديم متداخلا في الأقطار الثلاثة، صانعا فترات من القوة والمجد على يد حنبعل ويوغرطة وماسينيسا، تكرس مع الفتح الإسلامي، بتقبل المنطقة للسمات العربية الإسلامية وإنشائها لأول كيان سياسي موحد بطابع عربي إسلامي على عهد دولتي المرابطين (القرن الحادي عشر ميلادي) والموحدين (خاصة القرن الثاني عشر ميلادي) بلغ قوة وهيبة إقليمية هي محل إجلال إلى اليوم وسط الشعوب المغاربية [22]، التي تضامنت في تلك المرحلة من تاريخها للتصدي للعدوان الصليبي. وفي العصر الحديث عندما وقعت المنطقة تحت الهيمنة الاستعمارية، كان لابد اعتماد البلدان المغاربية على هذا الرصيد

التاريخي والعمق الجغرافي والحضاري والنضالي كإستراتيجية فريدة لسحق قلاع الاستعمار في ظل هيمنة القوى الكبرى على العالم.

وهكذا، فإن الأولوية الملقاة على عاتق الثورة الجزائرية تجاه المسألة المغاربية كانت تتمثل أساسا في تجسيد التضامن المغاربي المشترك، من أجل إيجاد أرضية عمل مشتركة لتحرير المنطقة من الاستعمار تحرير شاملا، سياسيا واقتصاديا وثقافيا، وإقامة صرح الوحدة التاريخية بين مختلف أقطاره [23].

هذه الإستراتيجية ترتكز على مضاعفة الجهد التعبوي، الرسمي والشعبي والنقابي والطلابي، داخل الأقطار المغاربية، وذلك بالسعي إلى تنسيق مواقف تونس والمغرب للضغط على الحكومة الفرنسية دبلوماسيا، وتوحيد النشاط السياسي بين مختلف الأحزاب الوطنية المغاربية وجبهة التحرير الوطني وإنشاء لجان شعبية مغاربية لمؤازرة الثورة وإحداث التعاون والتضامن بين مختلف النقابات العمالية والاتحادات الطلابية المغاربية وتفعيل الهيئات الاقتصادية لدى الدول الثلاث [24].

لقد أعطت هذه الإستراتيجية ثمارها؛ فقد لعبت النقابات العمالية والطلابية الجزائرية المنبثقة عن الثورة دورا لا يستهان به في الترويج لأفكار التضامن والتحرر والوحدة وذلك من خلال مختلف الإضرابات والملتقيات التي كان ينظمها الاتحادات العمالية المغاربية، ممثلة في الاتحاد العام للعمال الجزائريين، والاتحاد التونسي للشغل، وكذا الاتحاد المغربي للشغل [25]. والموقف نفسه بالنسبة للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، الذي كثيرا ما نسق المواقف مع التنظيمات الطلابية المغاربية، وصل إلى حد إعلان الوحدة الطلابية المغاربية (23 أوت 1958، التي خرج اجتماعها بتوصيات تدعو إلى تفعيل التضامن المغاربي وتنسيق الجهود المشتركة لدعم استقلال الجزائر، كخطوة نحو تحقيق الوحدة المغاربية المنشودة [26]. وبفضل هذا النشاط تمكنت جبهة التحرير الوطني من تأطير القوى الطلابية والعمالية المغاربية للالتفاف حول القضايا المغاربية.

كذلك حاولت جبهة التحرير الوطني إيصال صوت النضال المغاربي إلى الجزائر لتوثيق الشعور القومي والتضامن بين الجزائريين وإخوانهم المغاربة، عن طريق إعلام الثورة المسموع [27] أو المكتوب، الذي تطرق لقضايا التحرر في تونس والمغرب. وقد قدمت جريدة المقاومة – في هذا

المجال- مظاهر كفاح شعوب هذين البلدين ومنعطفات نضالهما الرئيسية [28]، وأشادت جريدة المجاهد بمختلف رموزهما النضالية والنقابية [29] وخصصت مساحات من صفحاتها لإبراز سياسة المجازر والاعتداءات الفرنسية في تونس والمغرب كمجزرة ساقية سيدي يوسف [30]، التي خلفت مئات القتلى [31]، واعتداءات بنزرت [32]، والغدر بالوطنين في المغرب الأقصى [33]. وقد حاولت الجريدة ربط الجزائريين بإخوانهم الليبيين، من خلال إبرازها لتاريخ ليبيا العريق في النضال ضد الاستعمار [34] ومساهمتها الفعالة – رسميا وشعبيا – في دعم الثورة [35] حيث ذكّرت الجزائريين – في هذا الشأن- بالمقاطعة الشعبية الليبية لفرنسا تضامنا مع الثورة الجزائرية [36].

ورغم أن إستراتيجية تحرير المغرب العربي وتوحيده، كانت منذ ظهور الحركة الوطنية إلى غاية مؤتمر الصومام [37]، ترتكز أساسا على الدولتين الأقرب جغرافيا (تونس والمغرب) [38]، فإن ليبيا أصبح لها مكانا في أدبيات الثورة الجزائرية، وغدت ضمن المشروع المغاربي للثورة؛ هذا ما نستنتجه، مثلا، من النص الوارد في جريدة المقاومة الجزائرية، أشار إلى أن "**الفكرة القديمة للمغرب العربي هي تتسع لتشمل ليبيا** " [39]. وأضحت جريدة المجاهد تتحدث عن البلدان الأربعة – عوض البلدان الثلاثة – لتشكيل مغرب عربي حقيقي، بإضافة ليبيا التي وصفتها " **بالجناح الأيمن للمغرب العربي الكبير**" [40]. وهو ما يوسع – من دون شك – أفق التضامن المغاربي، ويوثق الرباط بين الشعب الجزائري والشعب الليبي الذي يتشابه في نفس الخصائص الجغرافية والتاريخية والحضارية مع بلدان المغرب العربي الثلاثة.

2- الوحدة العربية:

كانت الثورة الجزائرية تحمل في ذاكرتها ذلك الرصيد الفكري الضخم لحزب الشعب (حركة الانتصار) وجمعية العلماء المسلمين في الدعوة إلى القومية العربية [41] في جانبها المتعلق بالإستراتيجية الهادفة إلى إقامة صرح وحدة عربية، وربط هذه المسألة بتحرير الأقطار العربية من الاستعمار [42].

لذلك حملت الثورة الجزائرية على القومية العربية القديمة، فقد اعتبرتها عاملا من عوامل التشتت [43]، كونها أدت إلى تقسيم المشرق العربي [44] وجعلت من الجامعة العربية جامعة

حكومات مشحونة بالخلافات والدس الاستعماري ما أفقدها قوة القرار [45]، في حين رحبت بالقومية العربية الجديدة – التي انبثقت مع الحركة التحررية في الوطن العربي– كونها قاومت مختلف السياسات الاستعمارية وحاولت أن تجعل من البلاد العربية بلادا مستقلة استقلالا حقيقيا، ورفضت التبعية للقوى الدولية المتصارعة [46].

فالثورة الجزائرية كانت ترى في الاستعمار القديم والجديد عقبة أمام أي مشروع قومي عربي يصبو لتحقيق الوحدة، لذلك حذرت من مخاطره [47]، ودعت إلى الانتباه واليقظة لمختلف مشاريعه الجديدة في المنطقة العربية، مشيرة في هذا الصدد إلى حلف بغداد، ومشروع إيزنهاور، الذي قالت عنه أنه يسعى إلى احتواء الحركة التحررية في المشرق العربي وابتزازها سياسيا بالمساعدات المالية والعسكرية [48].

لذلك دعت الحكومات العربية إلى إقامة علاقات مع الدول الكبرى على قدم المساواة وقدر من الاحترام، والمصلحة المتبادلة والمتكافئة، دون أن تكون هناك هيمنة أو تبعية ومادام البترول يشكل مادة إستراتيجية في الاقتصاد العالمي، ويملكه الوطن العربي، فقد دعت جبهة التحرير الوطني إلى إحداث سياسة بترولية مشتركة للصعود باقتصاديات الدول العربية، واستغلال الأرباح لفائدة شعوبها [49].

هذا ما جعل جبهة التحرير الوطني تعتبر الوحدة الاقتصادية شرطا ضروريا للوحدة السياسية لذلك انتقدت التجارب السابقة للجامعة العربية، التي حاولت إحداث تقارب سياسي دون سبق في مجال التعاون الاقتصادي، وباركت توجهها الجديد في إنشاء اللجنة الاقتصادية، أو ما أطلق عليها "**مصلحة البترول العربي**" لتكون نواة لمشروع الوحدة الاقتصادية، الذي اعتبرته الحلم الذهبي للشعوب العربية [50].

وهكذا، اعتمدت الثورة الجزائرية على التحرر من الاستعمار تحررا تاما سياسيا واقتصاديا لتحقيق مشروع الوحدة الاقتصادية، الذي يمهد بدوره للوحدة السياسية. هذا ما أكده برنامج طرابلس (1962) الذي قال: " **إن توسيع نطاق محاربة الإمبريالية سيغذي حيوية القوى السياسية والاجتماعية التي تعمل في نفس الاتجاه من أجل تحقيق الوحدة في المغرب**

الكبير والوطن العربي وإفريقيا ...وعلى الصعيد الدولي فإن تطوير المبادلات وتنفيذ المشاريع الاقتصادية المشتركة والسياسية الخارجية المشتركة المبنية على التشاور والتضامن الكامل في محاربة الإمبريالية كلها أهداف تساعد على القيام بخطوة صحيحة في طريق الوحدة " [51].

ونشير هنا، إلى أن انفتاح برنامج طرابلس على الوحدة الإفريقية، بما في ذلك البرامج السابقة للثورة [52]، لا يعتبر تمييعا لفكرة الوحدة العربية، بقدر ما يعد تضامنا جزائريا مع إفريقيا التي دعمت الكفاح الجزائري. ومن ثم يكون دور الجزائر التاريخي بعرض تجربتها كنموذج للمساعدة وتجاوز الانقسامات الإفريقية، بدفع القارة إلى تصفية آخر قلاع الاستعمار[53]، ومادام الوطن العربي يشترك مع إفريقيا في محاولة فرض الهيمنة الاستعمارية، فإن إدراج إفريقيا بحكم الجوار وبحكم النضال المشترك ضد الاستعمار يدخل، فقط، في إطار الضمير التاريخي والبعد الإنساني للثورة الجزائرية [54]، وماعدا ذلك فإن الوطن العربي الأقرب جغرافيا وتاريخيا وحضاريا يمثل بالنسبة للثورة مشروعا أكبر، لا يقتصر على التخلص من الاستعمار فقط [55] وإنما يندرج ضمن مشروع الوحدة العربية الشاملة [56].

لذلك هللت الثورة الجزائرية لإعلان الجمهورية العربية المتحدة، والاتحاد الفدرالي بين العراق والأردن (1958)، واعتبرت ذلك خطوة صحيحة على درب تحقيق الوحدة العربية الكبرى [57]. وعندما فشل مشروع الجمهورية العربية المتحدة (1961) تأسفت لذلك وبعثت برقية مساندة إلى جمال عبد الناصر، عبرت فيها عن تضامنها مع مصر، ودعت العرب إلى تجاوز هذه المحنة، بتضامنهم ووقوفهم كتلة واحدة ضد الاستعمار [58].

ولقد كان لفشل مشروع الوحدة بين سوريا ومصر، والمشاكل الداخلية والخارجية المرتبطة بهذا الفشل، والمعوقات التي ما فتئت تطرح نفسها بقوة في وجه قيام أي مشروع وحدوي عربي، إلى تقديم الثورة الجزائرية لرؤية منهجية لعلاج هذه المسألة. في هذا الإطار عثرنا على مقال عريض في جريدة المجاهد بعنوان: **"الثورة الجزائرية والقومية العربية"**، عبارة عن شبه دراسة لأسس الوحدة وآفاقها ودور الثورة الجزائرية في إثرائها [59]، بينت من خلاله أن الوطن العربي يملك

مؤهلات نادرة للوحدة؛ من لغة واحدة وتاريخ مشترك ورقعة جغرافية متصلة وظروف متشابهة. وقد سجلت الجريدة – مندهشة – عن الاحتجاج باللهجات المحلية التي يسوقها البعض كحجة في عرقلة الوحدة معتبرة أن هذه اللهجات ليست لغة الثقافة والفكر، لا تخلوا منها أمة كبرى، لتستدل بمفكرين وشعراء (ابن خلدون، ابن رشد ابن طفيل، الغزالي، المتنبي، ابن الرومي ، ابن زيدون، الشابي، شوقي) كتبوا باللغة العربية، أصبح جهدهم وجهد غيرهم ضمن التراث العربي القومي الذي لا يتجزأ، تطبعه الثقافة الواحدة واللغة الواحدة، التي تشكل عقلية الشعب الواحد المتميز بتفكيره ومزاجه ونفسيته، فتطبعه بطابع واحد، وتصبه في قالب نفسي واحد يجعل منه شخصية قومية واحدة لا تقبل التجزئة في المجال القومي [60].

هذا التفسير، نفسه، قدمته بالنسبة للتاريخ العربي ودوره في إحياء الشعور القومي فقد اعتبرت أن هذا التاريخ الذي أنجب نضالا مشتركا وأبطالا عظاما في الإسلام (عمر بن الخطاب، خالد بن الوليد عقبة بن نافع، صلاح الدين الأيوبي...) ورجالا في المقاومة (عبد القادر، المقراني، عرابي، يوسف العظمة، صلاح الدين الصباغ...) يجعل من كل العرب يفتخرون بإنجازاتهم، وهذا الاشتراك في أمجاد الماضي يخلق وجدانا قوميا مشتركا ووحدة نفسية متينة، يضاف إليها وحدة الجغرافيا والظروف. لتخلص من كل هذا إلى أنه مادامت الأمة العربية أمة واحدة من خلال تلك الخصائص فمن الضروري أن تحقق وحدتها الطبيعية الشاملة [61].

غير أن هذه الأسس والمؤهلات تبقى– في نظر الثورة الجزائرية – قاصرة عن إحداث الاندماج مادام الوطن العربي يعيش أوضاعا متردية؛ كالتجزئة والتخلف وعدم تبلور الوعي القومي الثوري والروح الإقليمية التي يغذيها الاستعمار والنظم الإقطاعية [62]. ونؤكد في هذا الصدد على الأهمية التي أولتها إلى مسألة التنوع الحاصل في البلاد العربية في المجالات السياسية والاقتصادية، هي من مخلفات الاستعمار، اعتبرتها عوامل أخرى ذات قيمة في التراجع القومي نحو الوحدة [63].

وعلى هذا فإن الثورة الجزائرية التي أخذت العبرة من التجربة الفاشلة للجمهورية العربية المتحدة سوف يكون لها موقفا متحفظا على اتجاه الوحدة الفورية التي لا تأخذ في الحسبان معالجة المشاكل والأمراض التي تعاني منها الأمة العربية. لذلك فهي ترى أن نشر الوعي السياسي

والاقتصادي والاجتماعي في أوساط المجتمعات العربية على أساس من الحرية، هو الذي يؤدي إلى إلغاء الفوارق المصطنعة، ويذلل صعوبات الوحدة، حيث تصبح في النهاية قضية تحقيقها لا تعدو أن تكون مسألة وقت وإعداد وتمهيد [64]. وما عدا ذلك فإن الوحدة العربية – في نظر الثورة الجزائرية – تبقى بعيدة المنال " **لا يمكن أن تتم بطريقة سحرية أو تأتي بها الصدف والأقدار أو تنزل على العرب في طبق من فضة**" [65].

وبذلك نلاحظ أن الثورة الجزائرية تقدم نظرة متأنية للوحدة العربية، فالدمج السياسي والمركزي للأقطار العربية في غياب الشروط الموضوعية يكون غير مجدي [66]، وهو ما يجعل هذا النوع من الوحدة في نظرها هدفا بعيدا نسبيا [67]. ولعل هذا التوجه يتوافق مع توجه العلماء وحركة الانتصار، الذي يركز على علاج المشاكل الكبرى للعالم العربي، قبل مباشرة الوحدة المركزية.

خاتمة:

في الأخير يمكن القول بأن الثورة الجزائرية واصلت التعبير عن موقفها الإيجابي من قضايا القومية العربية، في مسألتين هامتين من مسائلها؛ هما التضامن والوحدة. حيث رسخت الانتماء القومي للشعب الجزائري وبلورت فكرة التضامن العربي والمغاربي (فكرا وممارسة)، وأثرت الفكر القومي العربي بمفاهيم ورؤى عن الوحدة العربية السياسية والاقتصادية. وقد ترجم هذا الجهد بنتائج ملموسة؛ سواء من حيث زيادة حجم التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، أو من حيث التأثير الذي خلفته هذه الأخيرة على الشعوب العربية عموما والحركة القومية العربية خصوصا. جعل من التضامن العربي الذي روجت له الثورة الجزائرية واقعا عمليا وموضوع تأثير وتأثر متبادلا بين كفاح الشعب الجزائري ومختلف الشعوب والحكومات العربية.

الهوامش:

(1) CAN, Boite N°C017, CNRA, Session de Tripoli (1959-1960).

(2) المقاومة الجزائرية، عدد 06 (27 جانفي 1957)، ص 04.

(3) المصدر نفسه.

(4) وصفت جريدة المجاهد هذا الشعور وصفا دقيقا قالت فيه: " **كان رجل الشارع البسيط في القرية البعيدة عن العاصمة لا تروقه خطبة الجمعة مثلا إلا إذا تعرضت رمزا أو تصريحا لأحداث بغداد وثورتها في وجه الإنجليز مثلا أو لما كان يجري في فلسطين من صراع، وكان التلميذ الذي لم يغادر صفوف الدراسة الابتدائية بعد يسمع بمجلة الأمة العربية التي كانت تصدر بالفرنسية في سويسرا ويبحث عن أعدادها، وكان الطفل في سن الباكرة لا يريد أن يتصور مصر إلا أقوى من فرنسا حتى يتصور بسهولة إمكانية الاعتماد عليها ضد قوة فرنسا** ". أنظر: المجاهد، عدد 118 (02 أفريل 1962)، ص 05.

(5) للتأكيد على الانتماء القومي العروبي للثورة حمل أحد أعداد جريدة المجاهد صورة كبيرة (ملأ الصفحة الرئيسية) لجندي جزائري وإلى أسفل الصفحة أوردت أبياتا شعرية مأثورة عن بن باديس حول الانتساب العروبي للجزائر، التي تبدأ بـ: " **شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب** ". المصدر نفسه، عدد 44 (14 جوان 1959)، الافتتاحية.

(6) CAD, SEAA (1959-1967)، BoiteN°27, Le FLN et le Mythe de l'Etat Algérien,p05.

(7) ورد هذا في أول تصريح للحكومة المؤقتة (1958/09/26). المجاهد، عدد 30 (10 أكتوبر 1958) ص 06-07.

(8) ورد ذلك في الوثيقة الصادرة عن قيادة الولاية الثانية التي حملت عنوان " **إدراك دور المرأة في الثورة** ". وقد نشر علي كافي نصها الأصلي والكامل في ملحق كتابه. أنظر: علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر 2011، ص 447.

(9) النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962)، وزارة الإعلام والثقافة الجزائر، 1979 ص 07.

(10) الأرشيف الوطني الجزائري، علبة رقم 232، المنهج السياسي لتحقيق انتصار الثورة الجزائرية في الكفاح من أجل الاستقلال الوطني (20 أوت 1956)، المصدر السابق.

(11) كانت جريدة المجاهد تتابع باهتمام بالغ مظاهر التضامن العربي مع الثورة، من خلال نشرها لمقالات في هذا المجال وضعت لها عناوين بالبنط العريض لتلفت انتباه القارئ الجزائري. هذا ما فعلته مثلا عند أحداث الإضرابات العربية المساندة للثورة، والاحتفال العربي بيوم الجزائر، ومظاهر الدعم المادي والدبلوماسي. أنظر: المجاهد، أعداد: رقم 22 (1958/04/15)، ص 06. عدد 29 (1958/09/17)، ص 08. عدد 89 (1961/02/13)، ص 02. كذلك: المقاومة الجزائرية، عدد07 (1957/02/16)، ص 08.

(12) علاوة على الإعجاب الشعبي فإن نصوص الثورة الرسمية كانت مقدرة لهذا التضامن هذا مثلا ما ورد في أول تصريح للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (26 سبتمبر 1958)، الذي ذكر أن " **النضال العربي ليس كلمة جوفاء فبفضل التضامن الفعال لهذه الشعوب الشقيقة وحكوماتها أصبح الشعب الجزائري قريبا من بلوغ هدفه، فإن كان ممكنا أن توجد ديون اعتراف بين الأشقاء، فإن اعتراف الشعب الجزائري بجميل الشعوب العربية يكون كبيرا** ". أنظر: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 139.

(13) أحمد جرجيس وسليمان خندي، الثورة الجزائرية في مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي (1962-1954)، دار الأمة، العراق، دون تاريخ، ص 84.

(14) المرجع نفسه، ص 90.

(15) المرجع نفسه، ص 82.

(16) CAD, Boite N° 07, CNRA, Statuts du FLN p2

كذلك CNRA, Session de Tripoli (1959-1960), op. cit.

(17) تقول المجاهد عن البعد العروبي للمغرب العربي: " **ولذا نجد شمال إفريقيا ما انفك خلال القرون محتفظا بكيانه الأصيل فلم يندمج إلا في العالم العربي، وهذا الاستثناء الوحيد كان هو الحادث الذي صير شمال إفريقيا مغربا عربيا** " المجاهد، عدد 26 (1958/07/02)، ص 06.

(18) النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 09.

(19) سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، ترجمة محمد حافظ الجمالي، دار القصبة للنشر الجزائر، 2003، ص ص 560-561.

(20) عكس بعض المسائل الإيديولوجية التي كانت محل خلاف بين قادة الثورة، فإن المسألة المغاربية كانت محل إجماع وهو ما يفسر التوجه المغاربي لكل برامج الثورة في كل من بيان أول نوفمبر، وميثاق الصومام وبرنامج طرابلس الأول (1959- 1960)، والثاني (1961)، وميثاق طرابلس (1962). أنظر: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص ص 09، 30، 95.

كذلك: أنظر دراستنا في هذا المجال: فتح الدين بن أزواو، إيديولوجية الثورة الجزائرية، رسالة ماجستير قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002، ص ص 70-71،81، 95، 106-

(21) أشار إلى ذلك ميثاق الصومام. أنظر: المنهج السياسي لتحقيق انتصار الثورة الجزائرية في الكفاح من أجل الاستقلال الوطني (20 أوت 1956)، المصدر السابق.

(22) للاطلاع أكثر على الماضي الحضاري والتاريخي والجغرافي المشترك لدول المغرب العربي. أنظر: محمد المكي الناصري، " وحدة المغرب العربي في ظل الإسلام "، مجلة الثقافة الصادرة بالجزائر، عدد 15 (1973)، ص ص 08 - 23.

كذلك: سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 560.

(23) هذا ما أشار إليه بيان أول نوفمبر عندما تحدث عن تحقيق الاستقلال في إطار الشمال الإفريقي. أنظر: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 07.

(24) المنهج السياسي لتحقيق انتصار الثورة الجزائرية في الكفاح من أجل الاستقلال الوطني (20 أوت 1956)، المصدر السابق.

(25) المقاومة الجزائرية، عدد 01 (01 نوفمبر 1956)، ص 02. عدد 02 (15 نوفمبر 1956)، ص 09. عدد 03 (03 ديسمبر 1956)، ص 09. عدد 05 (12 جانفي 1957)، ص 12.

(26) المجاهد، عدد 28 (28 أوت 1958)، ص 03.

(27) أشارت التقارير الفرنسية إلى ذلك الاهتمام الذي كانت توليه إذاعة " **صوت العرب** " لمسألة التضامن المغاربي وقد نقلت عن هذه الإذاعة نشيدا كانت تبثه لبث روح الحماس والتضامن المغاربيين، هذه بعض مقاطعه:

إفريقيا الشمالية بلادنا حريتها هي حريتـــنا

هزائمـــها هزيمة لـــن كفاحها هو كفاحنا

شهداؤها شهداؤنا إفريقيا الشمالية بلادنا

أنظر: Le FLN et Le . Mythe de l'Etat Algérien, op.cit ,p 08

(28) كالتهليل والترحيب بمناسبة استقلال تونس والمغرب. أنظر: المقاومة الجزائرية، عدد 08 (11 مارس 1957)، ص 08. عدد 09 (18 مارس 1957)، الافتتاحية.

(29) أشارت المجاهد إلى ذكرى اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد، فنوهت بخصاله، واعتبرته رمزا من رموز النضال النقابي المغاربي. ونعت " **علي البلهوان** " الذي اعتبرته، هو الآخر، أحد رموز الوحدة المغاربية. أنظر: المجاهد، عدد 14 (15 سبتمبر 1957)، ص 09. عدد 24 (29 ماي 1958)، ص 02.

(30) سجلت الثورة الجزائرية تضامنها مع تونس في مجزرة ساقية سيدي يوسف، فعلاوة عن المساحات التي خصصتها جريدة المجاهد لإبراز بشاعة هذه المجزرة، فقد أصدرت جبهة التحرير بلاغا رسميا استنكرت فيه العدوان الفرنسي على القرية التونسية وطالبت المجتمع الدولي بالتحقيق في هذه الجريمة، معلنة وقوفها إلى جانب الشعب التونسي. وقد اعتبرت جبهة التحرير المجزرة بأنها عملية فرنسية مدبرة لإعادة احتلال تونس. المصدر نفسه، عدد 18 (15 فيفري 1958)، ص 04. عدد 20 (15 مارس 1958)، الافتتاحية.

(31) وقعت مجزرة ساقية سيدي يوسف يوم 08 فيفري 1958 عندما قصفت الطائرات الفرنسية القرية التونسية بحجة أنها تحتوي قواعد خلفية للثورة الجزائرية. وقد خلف هذا القصف 600 قتيل و800 جريح بين مدنيين وعسكريين. أنظر: إيفيه بريستير، في الجزائر السلاح يتكلم، ترجمة عبد الله كحيل، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1989، ص ص 207،166، كذلك: سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 562.

كذلك: نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2006، ص 187.

(32) لمزيد من التفصيل حول كل هذه الحوادث في تونس والمغرب. أنظر: المجاهد، عدد 18 (15 فيفري 1958)، ص ص 04- 05. عدد 20 (15 مارس 1958)، الافتتاحية. عدد 101 (31 جويلية 1961)، ص 10. عدد 102 (14 أوت 1961)، ص 04.

(33) المصدر نفسه، عدد 20 (15 مارس 1958)، ص 12.

(34) المصدر نفسه، عدد15 (01 جانفي 1958)، ص 12.

(35) المصدر نفسه، عدد 37 (25 فيفري 1959)، ص 04.

(36) المصدر نفسه، عدد 88 (30 جانفي 1961) ، ص 08.

(37) أشار في هذا الصدد إلى اتحاد لدول شمال إفريقيا الثلاث، دون إدراج ليبيا. أنظر: المنهج السياسي لتحقيق انتصار الثورة الجزائرية في الكفاح من أجل الاستقلال (20 أوت 1956)، المصدر السابق.

(38) CAD, Boite N° 07, SEAA (1959-1967), Programme Politique du FLN (Secret).

(39) المقاومة الجزائرية ، عدد 05 (12 جانفي 1957) ، ص 16.

(40) المجاهد، عدد 24 (29 ماي 1958) ، ص 11.

(41) بل إن الثورة استلهمت حتى من تجربة الأمير عبد القادر عندما و صفته بالفارس العربي الذي نهض للدفاع عن الإسلام و العروبة في الجزائر. لتؤكد على أن "**أحفاد الأمير عبد القادر مفجرو ثورة أول نوفمبر سيقومون بنفس الدور الذي يحقق النصر للشعب العربي بالجزائر**". أنظر:

Le FLN et le Mythe de l'Etat Algérien, op. cit , p 07.

(42) يشدد الباحث سليمان الشيخ في هذا المجال على أن موضوع الوحدة العربية له قوة تأثير وجاذبية في عقيدة الثورة الجزائرية. أنظر: سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 556.

(43) القومية العربية بين الأمس و اليوم ، المجاهد ، عدد29 (17 سبتمبر 1958) ، ص 03.

(44) المصدر نفسه ، عدد 62 (22 فيفري 1960) ، ص 05.

(45) القومية العربية بين الأمس و اليوم ، المصدر السابق ، ص 03.

(46) المصدر نفسه.

(47) المصدر نفسه ، عدد 112 (08 جانفي 1962).

(48) المصدر نفسه ، عدد 28 (28 أوت 1958) ، ص ص 05 ، 12.

(49) المصدر نفسه ، عدد 29 (17 سبتمبر 1958) ، ص 03.

(50) المصدر نفسه.

(51) CAN، Boite N°C053, Projet de programme du FLN pour la Réalisation de la Révolution Démocratique Populaire , Tripoli (Mai- Juin 1962).

(52) أشار إلى ذلك أيضا برنامج طرابلس (1960-1959). أنظر:

Session de Tripoli (1959-1960), op. cit

(53) سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 454.

(54) ذهب هواري بومدين- أحد القادة العسكريين للثورة- إلى القول بأنه لا يمكن فصل الجزائر عن انتمائها الإفريقي بسبب وحدة الجغرافيا والمصير. وهذا الانتماء في نظره يمثل جزءا من كل عربي وجزءا من كل إفريقي. أنظر: لطفي الخولي، حوار مع بومدين، عن الثورة في الثورة وبالثورة، منشورات التجمع الجزائري البومديني الإسلامي، قسنطينة، دون تاريخ، ص 124.

(55) سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 454.

(56) الثورة الجزائرية والقومية العربية، المجاهد، عدد 113 (22 جانفي 1962)، ص 09.

(57) قالت المجاهد في هذا الشأن: " **بعد أسبوعين اثنين من إعلان الجمهورية العربية المتحدة بين إقليمي مصر وسوريا، سجلت القومية العربية المتحفزة نصرا جديدا في ميدان التحرر والقوة، بإعلان اتحاد مملكتي العراق والأردن اتحادا فدراليا، باركته الأمة العربية ورأت فيه خطوة ثانية نحو عزتها، نحو كرامتها، نحو وحدتها الكبرى** ". أنظر: الزحف الصاعد نحو الوحدة العربية الخالدة، المجاهد، عدد 19 (01 مارس 1958)، ص 04.

(58) هذه البرقية أرسلها يوسف بن خدة – رئيس الحكومة المؤقتة – إلى جمال عبد الناصر بمناسبة الأحداث التي وقعت في سوريا وانهيار مشروع الجمهورية العربية المتحدة. أنظر: المصدر نفسه، عدد 106 (09 أكتوبر 1961)، ص 03.

(59) هذا المقال نشرته المجاهد بتاريخ 22 جانفي 1962. أنظر: الثورة الجزائرية والقومية العربية، المصدر السابق ص ص 08 – 09.

(60) المصدر نفسه، ص 08

(61)

(62) المصدر نفسه.

(63) ولعل هذا ما أشار إليه كذلك برنامج طرابلس (1962) عندما ذكر أن سياسة الاستعمار في التقسيم ومصالح وخصوصية الطبقة الحاكمة في الوطن العربي تجعل من الوحدة شعارا ديماغوجيا. المصدر نفسه. كذلك:

Projet de Programme du FLN pour la Réalisation de la Révolution Populaire, Démocratique Tripoli (Mai -Juin 1962), op .cit.

(64) الثورة الجزائرية والقومية العربية، المصدر السابق، ص 09.

(65) المصدر نفسه.

(66) تقول المجاهد في هذا الشأن: " **إن وحدة الوطن العربي يجب أن تصنع بصبر وتضحية مشتركة وأن لا تكون عملا سياسيا مرتجلا تتحكم فيه المناسبات و الظروف الطارئة** ". المجاهد، عدد 30 (10 أكتوبر 1958)، ص 09.

(67) سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 559.